افتتاحية العدد

الطرق الصوفية تحتفل بمولد السيدة فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مع استغلال الشيعة للحدث

لا يختلف أهل السنة والجماعة في أصلٍ كبيرٍ من أصول الديانة: محبة آل بيت النبي ﷺ وتعظيم قدرهم الشرعي، وفي مقدمتهم السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها. لكن الإشكال لا يبدأ من "المحبة" بوصفها معنىً قلبيًا مشروعًا، وإنما يبدأ حين تتحول هذه المحبة إلى مواسم ثابتة تُعامل معاملة الشعائر، ثم تُفتح أبوابها - بحسن قصد أو بسوء تدبير - لتصبح مجالًا رحبًا لـ الترويج العقدي المذهبي، حيث تتسلل سرديات لا تمت إلى منهج أهل السنة بصلة، مستندةً إلى حرارة العاطفة عند العامة أكثر من استنادها إلى برهان العلم.

ما الذي تكشفه الأخبار عن طبيعة الموسم؟

تُظهر الأخبار المتداولة أن الاحتفال اتخذ صورة "الموسم" الذي يجتمع فيه المريدون والأتباع على تلاواتٍ وأناشيد ومدائح وحلقات ذكر، مع كلماتٍ تُقرر في ظاهرها فضل آل البيت ومكانتهم. ففي خبر "الطريقة الشبراوية" جاء نصًا أن الاحتفال وقع يوم الجمعة 12 ديسمبر 2025، مع حضورٍ كبير من المنتسبين ومحبي آل البيت، وتقدّم الحضور الشيخ محمد عبد الخالق الشبراوي الذي شارك حلقات الذكر وألقى كلمة عن "قيم التضحية والصبر والطهارة".

كما وُثق انعقاد احتفالٍ بمولد السيدة فاطمة الزهراء في مقر مشيخة الطريقة العزمية بالقاهرة يوم الخميس 11 ديسمبر 2025.

هذه اللوحة مجتمعة تُثبت أننا أمام مناخ احتفالي واسع: جمهور كبير، خطاب وجداني، تكرار سنوي، وأسماء طرق وشيوخ بارزين. وهنا تحديدًا تتولد "المساحة الرمادية": مساحةٌ يُمكن أن تُوظَّف فيها العاطفة الدينية توظيفًا لا يخدم العلم ولا يخدم وحدة المسلمين على المنهج الصحيح.
يرجعوا إلى كتاب الله وسنة رسوله.» وهذا التشخيص يوضح لنا أن الخلل ليس في أصل التزكية، وإنما في المسار الذي سلكه المتصوفة بعيدًا عن هدي الكتاب والسنة.

لماذا يخاف أهل السنة من "التوظيف الشيعي" تحديدًا؟

السبب ليس "وهمًا" ولا "خصومةً مجانية"، بل هو قراءة واقعية لمسارٍ معروف: الرموز الجامعة - وفي مقدمتها آل البيت - تُستخدم أحيانًا كجسرٍ لتصدير سرديات عقدية خاصة بالمذهب الإمامي، ثم تُقدَّم تدريجيًا لعامة المتدينين على أنها "محبة آل البيت"، بينما هي في حقيقتها انتقالٌ ناعم من المحبة المشروعة إلى مقولاتٍ مرفوضة عند أهل السنة (كإعادة ترتيب التاريخ الإسلامي، والطعن في بعض الصحابة، وإعادة تعريف المرجعية الدينية).

والشاهد المهم: أن مؤسسات ووسائل إعلام مرتبطة بالسياق الإيراني - وهو سياق شيعي اثنا عشري واضح - تُعرّف ميلاد السيدة فاطمة الزهراء بأنه مناسبة ذات وظيفة عامة في إيران، حتى جُعل في الخطاب الرسمي والإعلامي يومًا للمرأة والأم مرتبطًا مباشرةً بهذه الذكرى.

فالمسألة ليست مجرد "احتفال ديني"، بل هي هوية رمزية تُستثمر سياسيًا وثقافيًا. وإذا كان هذا التوظيف قائمًا في بيئته الأصلية، فكيف لا يُخشى انتقاله - بصيغ أكثر نعومة - إلى البيئات التي تُقام فيها مواسم جماهيرية مفتوحة؟ ويزداد القلق حين نقرأ وقائع سابقة حول حضور دبلوماسي ثقافي إيراني لاحتفال الطريقة العزمية بمولد السيدة فاطمة الزهراء، مع تأكيده أن حضوره "شخصي".

سواء اتفقنا مع تفسير هذه الواقعة أو اختلفنا، فهي تكفي لتقرير حقيقة واحدة: أن المناسبة محل اهتمامٍ من خارج الدائرة الصوفية المحلية، وأن باب "التواصل الرمزي" يُطرق بالفعل.

أين تكون الثغرة؟

الثغرة الأكبر ليست في كلماتٍ جميلة تُقال عن فضل الزهراء رضي الله عنها فهذا حق وإنما في أمرين:

1.تحويل المحبة إلى موسمٍ تعبديٍّ راتب بلا تأصيلٍ واضح من هدي السلف؛ فتتحول المناسبة مع الزمن إلى "شعيرة" في وجدان العامة، يُظن أنها من الدين بذاتها.

2.الخلط بين المقامات والأسماء: فالأخبار نفسها تذكر احتفالًا بمولد "فاطمة النبوية" (وهي تسمية مرتبطة بمقام محلي) إلى جانب الاحتفاء بفاطمة الزهراء رضي الله عنها.

المصادر :
- صحيفة الدستور المصرية 10 ديسمبر 2025
- صحيفة الدستور المصرية 12 ديسمبر 2025
- بوابة الجمهورية الجديدة 22 سبتمبر 2025

وهـذا الخلـط -حيـن لا يُضبـط علميًـا - يسـهّل علـى أي خطـاب مذهبـي أن يذيـب الفـوارق، ثـم يمـرّر رسـائل مختـارة تحـت عنـوان واحـد جـذّاب: "حـب فاطمـة".

ومـن هنـا يفهـم منهـج أهـل السـنة: الخـوف ليـس مـن ذكـر فاطمـة، بـل مـن صناعـة منـاخٍ تتراجـع فيـه الحجـة أمـام العاطفـة، وتُقـدَّم فيـه "الرمزيـة" علـى "المنهـج"، فيصبـح الجمهـور سـهلَ الالتقـاط لأي سـردية تُحسـن اسـتثمار الحـب والدمعـة والقصيـدة.

ما المخرج العلمي الذي يحفظ المحبة ويغلق أبواب الاستغلال؟

المخرج ليس صدامًا مع الناس ولا تجريحًا لمشاعرهم، بل هو إعادة ضبط البوصلة:

- أن تُعلَّـم فضائـل السـيدة فاطمـة رضـي اللـه عنهـا بأحاديـث صحيحـة وسـيرة موثوقـة، وتُقـدَّم كنمـوذج عبـادة وزهـد وحيـاء وصبـر، لا كعنـوان موسـم.
- أن يُحـذَّر - بلغـة علميـة - مـن كل مـا يندس فـي هـذه المواسـم مـن خطـابٍ يُعيـد تعريـف التاريـخ أو يفتـح أبـواب السـبّ والطعـن، أو يقـرر مفاهيـم العصمـة والإمامـة بمعناهـا الإمامـي.
- أن تُـردّ المحبـة إلـى "سـنّة الاتبـاع": مـن أحـب آل البيـت حقًـا اتبـع هـدي النبـي ﷺ فـي العبـادة، ولـم يجعـل الديـن مواسـم مضافـة بـلا دليـل.
- وبذلـك تبقـى المحبـة فـي موضعهـا الشـرعي، ويُسـدّ الطريـق علـى أي توظيـف مذهبـي يحـاول أن يحـوّل حـب آل البيـت إلـى منصـة لتمريـر أطروحـاتٍ عقديـة دخيلـة، خصوصًـا فـي البيئـات الجماهيريـة التـي يغلـب عليهـا الوجـدان علـى حسـاب التمحيـص العلمـي.

المصادر:

- *محيي الدين ابن عربي* فصوص الحكم (الموضوع: فصول متعلقة بمقام النبي ومفاهيم "الحقيقة المحمدية") راجع فصوص ابن عربي وفتوحاته للمقارنة النصّية.
- *ردود نقدية تاريخية* تراكم كتابات نقدية في مجموع فتاوى ابن تيمية و*منهاج السنة* التي تعرض نقدات على اصطلاحات ومذاهب عرفانية معينة.